



## "عندما" تنسحب سوريا

"عندما يتم سحب هذه القوات تكون سوريا في حلّ من المسؤولية عن حركة "حزب الله" المتواجد في الاراضي اللبنانية حصراً، ولن يكون بمقدور الاميركيين او الاسرائيليين الطلب من سوريا اي موقف او اجراء سواء كان سياسياً او عسكرياً". حين كتبنا في هذه الزاوية ما يشبه هذا الكلام قبل اشهر، كان التفكير بمجرد احتمال خروج القوات السورية من لبنان يعتبر ضرباً من الوهم. لكن الوقت حان، على ما يبدو، لكي يتبين، وإن مناورة، دعاة الثبات القومي، وأي دعاة لأي ثبات؟ فالجملة المذكورة هنا ليست مستئة من افتتاحية لجريدة "النهار"، ولا هي محاولة من معارض لبناني لتهوين الامر امام المسؤولين البعثيين. انها تأتي بقلم اللواء بهجت سليمان، مدير احد فروع المخابرات السورية وأحد أركان النظام في دمشق حيث عدّ يوماً الرجل القوي، وتحديداً في الفترة التي تلت وفاة حافظ الاسد وانتقال رئاسة الجمهورية الى نجله بشار، قبل ان يُسدل الستار فجأة على وعود الربيع.

ويزيد من اهمية ما اورده اللواء سليمان حول احتمال استكمال انسحاب القوات السورية من لبنان اعتماده صيغة غير مشروطة. اذ لا يغيب ان الكلمة المهمة في كل هذه الفقرة هي "عندما". لا يقول "اذا"، يقول "عندما"، بل يضع الانسحاب في اطار زمني اقصر بكثير من ذلك الذي حدده رئيسه في مقابلته مع "نيوزويك" حيث ربط انهاء الوجود العسكري السوري بالحل الشامل، وهو الامر الذي اثار كوندوليزا رايس مستشارة الامن القومي للرئيس الاميركي، قبل يومين.

صحيح ان الاطار الذي جاء فيه هذا الكلام، وهو مقال منشور بتواضع في صفحة داخلية من عدد امس للزميلة "السفير"، لا يجعل منه اعلاناً رسمياً. كما ان غياب الشفافية في سوريا لا يسمح بالتكهن بحجم الدور الذي يؤديه راهناً اللواء سليمان. كذلك فان الاستعراض الذي يقوم به للوضع السوري بازاء التهديدات الاميركية يبدو ممسوكاً بهاجس التمسك اللغوي باليقين البعثي الرسمي، وهو "ان سوريا قادرة على التحرك وسط خيارات سياسية كثيرة". لكن تحت هذا الخط العام، ينثر اللواء سليمان مجموعة افكار مثيرة، واهياناً متناقضة، وكأنه يطلق بالونات اختبار لا ندري ان كان نطاقها الحوار الداخلي بين اهل النظام في دمشق ام انها رسائل موجهة الى جمهور معين قد يكون الجمهور اللبناني مثلما قد يكون الجمهور السوري. فذلك ايضاً غير واضح، وخصوصاً ان الافكار الاكثر اثاراً عنده تتعلق على حد سواء بالوضع اللبناني وبالسياسة السورية الداخلية.

في ما يتعلق بلبنان، لا يخشى اللواء الكاتب الوقوع في التناقض، ولعله يبحث عنه عمداً. فاذا يدعي ان معالجة الوجود السوري في لبنان "تتطلب اقصى درجات الجرأة والتخلي بالمسؤولية لانها تركز على بعض الحقائق التي يرفضها التفكير التقليدي في المسائل الاستراتيجية والسياسية"، فاننا سرعان ما نكتشف ان اهم "الحقائق" التي تنتج من هذا الانقلاب المفهومي هي ان "الوجود السوري في لبنان هو من ثوابت العلاقة الاخوية والتاريخية". وبعد الاشارة الى تمسك "الحكم اللبناني الحالي" (كذا) بالوجود العسكري السوري، لا يلبث ان يستطرد ان واشنطن "تضمّر غير ما تعلن" بسبب "خوفها من ان يتحوّل جنوب لبنان الى "ساحة" من ساحات الصراع الذي لا يزال مفتوحاً مع العدو الاسرائيلي"، وان الاميركيين "يودون" في الحقيقة "استمرار الوجود السوري في لبنان"، من دون



ان ينسى التذكير بدور سوريا كعنصر ضبط بازاء وجود "اكثر من مئة الف فلسطيني" في الجنوب، ولا الاشادة بهذا الدور كونه "يحافظ على البوصلة ويمنع انفلات الامور التي تنقلب وبالاً على الجميع".

حتى الآن، لا شيء غير المعهود عند المسؤولين السوريين وحاملي الولاء لهم من اللبنانيين، وكلهم ما برحوا يسعون الى التخفيف من حدة ما قاله وزير الخارجية الاميركي كولن باول خلال جولته الاخيرة في دمشق وبيروت، غير عابئين بما صرّح به في العلقن بعد ذلك، وبما رده غيره من اهل القرار في واشنطن، وآخرهم كوندوليزا رايس التي تُشرّ تصرّيحها القاسي والواضح بخصوص الهيمنة السورية على لبنان في اليوم نفسه الذي صدر مقال اللواء الكاتب.

بيد ان سليمان استبق الامر، وهنا الجديد. فبعدما اكد لنا ان الوجود السوري في لبنان موضع تمسك من الحكم اللبناني وموضع قبول من الولايات المتحدة، يمضي ممتدحاً "استمرار سوريا في سحب قواتها من لبنان - بعد ان قطعت شوطاً بعيداً في هذا المضمار". واذ يعود الى التذكير بان "الحاجة الى سوريا كعنصر توازن ستظل قائمة، بل وستصبح اشدّ، في ظل اختلال التوازن الديموغرافي (؟) وتزايد نفوذ الاصوليين وارتفاع الاصوات التي تطالب باعادة صياغة السلطة"، يذهب الى ان "قيام سوريا بسحب قواتها من لبنان منذ مدة، وبالتدريج، يشكل "ضربة معلم" نظراً لما فيها من براعة سياسية تضع الولايات المتحدة واسرائيل في حالة من الارتباك والحرج الشديدين اللذين قد يدفعان بهما الى اعتماد منطق التفاوض والمساومة واحلاله محل لغة الشروط والمطالب والاملاءات".

الحجة غير مقنعة لكنها تسمح للكاتب بالقفز الى فكرة اخرى، اكثر جذرية، وهي التي تتحدث عن تحرر سوريا من اي مسؤولية حيال حركة "حزب الله" في الجنوب "عندما يتم سحب هذه القوات...". والآن، لنحاول استقراء منطق سليمان. ماذا لو كان يقول لأقرانه في دمشق: تعالوا نلتفّ على التهديدات الاميركية، لا من خلال المراهنة على الوقت، بل بتفريغها من مضمونها؟ ماذا لو كان يقول: لقد أن الاوان لطبي صفحة تجنباً لما لا تحمد عقباه؟ قد لا يكون مثل هذا التّأويل صائباً بالضرورة، لكنه جائز بالتأكيد، ولعل اكثر ما يجيزه هو الكلام الذي يسوقه اللواء الكاتب في الموضوع الداخلي السوري، حيث دعوته للانصات الى المعارضة بالكاد مقنعة.

في الموضوع الداخلي، يبدأ سليمان بالقول "في سوريا ليس هناك معادون للنظام القائم فيها، وانما هناك "معارضون" له، غير ان معارضتهم له هذه لا تندفع الى ما هو ابعد من المطالبة بتحقيق بعض الاصلاحات السياسية والاقتصادية مثل الغاء حالة الطوارئ، وانهاء الاحكام العرفية، واصدار قانون للحزاب، وترشيد توزيع الثروة الوطنية".

لا يخفى طبعاً على الكاتب، وهو من هو، ان هذا "البعض" من الاصلاحات السياسية والاقتصادية يعادل تغييراً كاملاً في تركيبة النظام. لكن من الواضح ايضاً ان اختيار صيغة تخفيفية يفضي الى اضافة شرعية رسمية على مطالب المعارضة. وسليمان لا يتأخر اصلاً في منح المعارضين شهادة في الوطنية. فحتى لو سارع الى الاعتراف بان "مواقف هؤلاء "المعارضين" يجب الا تكون سبباً في النيل من عزيمة الحكم على تمنيع الحالة الوطنية"، فانه يردف في الحال بان "ما جرى في العراق من ركوب بعض المعارضين - خاصة شيوخ العشائر - على دبابة اميركية من اجل استلام السلطات والمناصب، بعيد تماماً عن اخلاقيات ومناقب السوريين، ولا يجرؤ على فعله احد منهم".

وحتى لا يلتبس المعنى على احد، يضيف سليمان فقرة تبدو خارجة من الخيال. هاكم: "قبل بضعة ايام ذكر احد "المعارضين" انه كان في زيارة لمنتدى ثقافي وانه فوجئ بوجود رياض الترك هناك، وقد ادلى الاخير بأرائه حول كثير من شؤون البلاد وشجون المنطقة بعد الغزو الاميركي للعراق، وأعرب "المعارض" عن اعجابه بهذه الآراء مؤكداً انها تستند الى احساس عال بالمسؤولية الوطنية خاصة ما قاله الترك من انه يجب علينا الا نحمل الحكم ما هو اكبر من طاقته...!"



للتذكير، ان بهجت سليمان مسؤول كبير في المخابرات، ورياض الترك سجين سياسي سابق بات رمز المعارضة السورية. ولعل الاكثر دلالة من كل ذلك ان سليمان لا يشعر بحاجة الى التعريف بالترك، وكأنه يعترف له منذ الآن بدور في الحياة السياسية السورية...  
وكان عودة الروح الى السياسة في دمشق بعد الانتهاء من حالة الطوارئ ودولة الحزب، لم تعد مرهونة هي الاخرى، وتاماماً مثل الانسحاب من لبنان، بأداة شرط، بل بظرف زمان.

**سمير قصير**



<b>Id-Reference</b>	<b>03-Pr-000687</b>	
<b>Media</b>	<b>(Support)</b>	HC
<b>Title</b>		عندما تنسحب سوريا
<b>Subtitle</b>		
<b>Section</b>		
<b>Language</b>		عربي
<b>Source</b>		النهار
<b>Page</b>		
<b>Date</b>		٢٠٠٣/٥/١٦ 16/5/2003
<b>Author</b>		سمير قصير
<b>Co-Author</b>		
<b>Keywords</b>		
	<b>Persons</b>	لواء بهجت سليمان - حافظ اسد - رياض ترك - بشار اسد - كوندوليزا رايس - كولن باول
	<b>Locations</b>	لبنان - سوريا - اسرائيل - ولايات متحدة - دمشق
	<b>Dates</b>	
	<b>Themes</b>	لبنان - سوريا - بعد انسحاب سوريا - حزب بعث سوري - حزب الله - اسرائيل - اميركا - حكم بعثي - حافظ اسد - نظام بعث سوري - لواء بهجت سليمان - غزو اميركا للعراق - بشار اسد - سوريا نظام - جريدة نهار - خروج قوات سوريا لبنان - مخابرات سورية - لواء سليمان - نيوزويك - جريدة سفير - سياسة سورية - وجود عسكري سوري - علاقات لبنانية سورية - كولن باول - معارضة سورية - معارضة
<b>Subject</b>		